يسجنه بتهمة الخيانة، وظل بضعه في سجنه في ظل هذه التهمة الوقحة، فكيف يخرج دون ان يقضي عليها؟.

أجل لقد كان لزاماً على يوسف قوله ﴿لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ تذرعاً إلى رفع التهمة، ولزاماً عليه إلّا يخرج بطلب الملك إلّا بعد زوال التهمة، و﴿ذَٰلِكَ﴾ القول وعدم الخروج إلّا ببرائته ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ومعه من معه من الملك وسواه ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾ في قصة المراودة ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ إذ كان غائباً.

«وليعلم» على علمه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ كامرأته ونسوة في المدينة، ومعهن العزيز والملك في خيانتهم المكرّسة وشيطنتهم المدروسة، فلو أنني كنت من الخائنين، والجهاز الفرعوني مصرّ على أنني خائن فكيف اهتديت إلى برائتي بشهادتهم هؤلاء أنفسهم؟ ثم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ ضابطة تضرب إلى مثلث الزمان ومختلف الكائن والمكان، وقد أقام الله تعالى فيها كيد الخائنين مقام الخابط في طريق ليصل إلى مضرة المكيدة وهو عنه غافل، فأعلمنا سبحانه انه لا يهديه حيث لا يوفقه لإصابة الغرض، ولا يسده لبلوغ المقصد، بل يدعه يتخبط في ضلاله ويتسكع في متاهه، حيث يسري في معصية الله فلا يستحق أن يهدى لرشد أو يتسدد لقصد.

ولأنهم كانوا خونة بحقي بكل المكائد الفرعونية، نسائية ورجالية، لم يكن الله ليهدي كيدهم إلى بغيتهم: دراسة متينة ونصيحة مكينة من الصديق السجين لرجال البلاط ونساءه ولمّا يخلص من السجن! ولأن ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ تلمح كأنه بحوله - فقط - وقوته ترك تلك الخيانة فلم يصب إليهن، يثنّيها بما يزيل غشاوة الإيهام والإبهام بقوله:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ عن الخيانة وهمها لـ ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ نفسي

وسواها ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ وقد رحمني بما أراني برهانه: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وصرف عني كيدهن: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر برحمته ويستر زلات المخلصين والمخلصين، فلو لا غفره بما أراه برهانه وصرف عنه كيدهن لهمّ بها وصبا إليهن وكان من الجاهلين، وذلك غفر قبل حلول العصيان، وهكذا كلّ غفر للمعصومين، كما هنالك غفر بعد حلوله كما لغير المعصومين.

فإذا كان يوسف الصديق لا يبرئ نفسه وهو من المخلصين، فيربط برائته برحمة ربه، فبأحرى لمن دونه من الصالحين، فلو لا رحمة الرب لكنا من المهلكين ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[1]! فـ ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ هنا هي الشهوانية وهي بطبعها ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ إلّا برادع من نفس مؤمنة مطمئنة بالله، تكرّس كافة طاقاتها سياجاً صارماً على أمر السوء وفعله، مستعينة بالله وحتى النفس المعصومة، حيث العصمة الإلهية وتثبيته يحولان بين النفس وشهواتها ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[2].

وصحيح أن النفس لا يصح أن تأمر بسوء، فإنما تشتهي السوء، ولكن الإنسان لما كان بطبعه يتبع دواعيها إلى الشهوات، وينقاد بأزمتها إلى المقبحات كانت بمنزلة الآمر المطاع، والإنسان بمنزلة السامع المطيع، والمبالغة في ﴿لَأَمَّارَةٌۢ﴾ مؤكدة باللام تحاكي صفتها بكثرة الدفع إلى المهاوي والقود إلى المغاوي.

ثم وهذه الأمارة بالسوء - بطبيعة الحال - تتدرج على ضوء المحاولة البشرية والرحمة الإلهية من أسفل سافلين إلى أعلى عليين، إلى لوّامة بدرجاتها، ومن ثم مطمئنة بدرجاتها، مخلصة لا تخلو من أخطاء اللمم، ثم

(١) سورة الصافات، الآية: ٥٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.

مخلصة معصومة بعصمة إلهية، وهذه رحمة خاصة تخص المخلصين، وقبلها عامة تعم المخلصين، ويوسف من الأوّلين ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ والرسول محمد ﷺ هو إمام المخلصين ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾[1] لحد يقول عن نفسه «شيطاني أسلم بيدي - جزناها وهي خامدة».

فـ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ استثناء متصل يعني إلّا النفس التي رحمها ربي فليست أمارة ولا آمرة بالسوء بل لوامة أو مطمئنة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[2].

وليست لنا إلّا إحدى هذه الثلاث، وهي مختلفة حالات الروح، واجتماعها في هذه الحالات، أم تعددها كل بحالتها، ذلك اجتماع الأضداد المتنافرة، أو المحالات المتهاترة.

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[3] وأمثالها هي من براهين وحدتها دون تعدد في ذواتها، ولا اجتماع في حالاتها!.

ثم ومع الأسى نرى هنا كما هنالك ترسم أيدي الخيانة ما يمس من كرامة الصديق وليضرب عرض الحائط لمخالفته كتاب الله المصرح في آيات عدة ببراءة يوسف ويراعته[4].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨١.
(٢) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.
(٣) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.
(٤) الدر المنثور ٤: ٢٣ عن أبي صالح في الآية قال: هذا قول يوسف عليه السلام لم يخن العزيز في امرأته، فقال له جبرائيل: ولا حين حللت السراويل؟ فقال يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ...﴾ [يوسف: ٥٣] أقول أليس حل السراويل للعزيزة بغيب العزيز خيانة، ثم وفي القيلة المنسوبة إلى جبرائيل تكذيب لقول يوسف إضافة إلى تهمة الخيانة! والصحيح ما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن في الآية قال: خشي نبي الله أن يكون زكى نفسه قال: وما أبرئ نفسي الآية.

وهكذا ينتهي دور السجن لمن كرّمه الله واصطفاه، بريئاً عن تهمة الخيانة، جريئاً على الخونة، مما يدفع الملك أن يطلبه إليه مرة ثانية:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾:

وهكذا يتجلى الإنسان في أكمله وأنقصه في قصص القرآن التي لا تقص لمجرد قصّ التاريخ وأداء الفن القصصي، بل ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] فإنما تساق لتعالج قصة العقيدة والداعية عبرة وعظة، في واقعة تتناسق فيها جميع المؤثرات والمؤشرات والواقعيات في نفوس بني الإنسان.

هنا يصدر الأمر الملكي مرة ثانية ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ﴾ ولكنه في هذه المرة يستخلصه لنفسه حيث يرى إخلاصه في علمه ودرايته وأمانته: ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ فلو استجابه في الأولى لم يستخلصه إذ لم يعرفه بذلك الإخلاص والأمانة والرزانة، واستخلاص الملك هو الصدارة الثانية بعده كرئاسة الوزراء امّا ذا من القمة الثانية.

إنه في هذه المرة خلاف الأولى لا يطلبه ليرى مأول الرؤيا، أو ليسمعه كلمة الرضا لصاحب السموّ الملكي، وليعفو عنه ويطلق سراحه، وإنما ليستخلصه لنفسه معتذراً إليه عما كان عليه، ومفوضاً إليه ما سيكون.

. . . هنا الملك يطلب إلى من لا يتهافت على خروجه من السجن، ولا يتفاوت عنده السجن وخارج السجن، إلّا أن يخرج قبل خروجه عن تهمة الخيانة، وإلّا فالسجن أحب إليه من عفوه دون براءة، كما كان أحب إليه مما يدعونه إليه.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

يطلب الانسراح عن السجن ممن أخذ يفتي برؤياه لصالح المملكة، ويحكم كقائد أوّل لإصلاح الحالة الاقتصادية عند توترها وتبعثرها وتعثّرها، وهكذا يكون رجالات الحق والصدق والدعاة إلى الله، لا يخضعون للأمر الواقع المفروض عليهم أياً كان، فلا يذلون عن عزهم، ولا يترذلون أمام السلطات الباطلة المفروضة عليهم، ولا يحيدون عن موقفهم الرسالي، ولا يفرق لديهم السجن وخارجه، ولكي يبرزوا الحق كما يليق به ويحق، دون مسّ من كرامته وكراماتهم، ودون نكص على عقبيهم انتقاصاً لحق الدعوة والداعية.

فيا ليت رجالاً - ولا رجال - يمرغون كل كرامة على أقدام الطغاة - بمطلق سراحهم - متسابقين متهافتين على نظرة رضى وكلمة ثناء، ليتهم يعتبرون بأحسن القصص، وليعلموا أن العزة والإباء يدرّ عليهم أضعافاً من إدرار التمرغ والتزلّف والانحناء أمام ذوي السلطة والكبرياء ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ...﴾[1] ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[2].

﴿...فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ خلاف ما قبل اليوم لمّا طلب إليه للمرة الأولى ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ﴾! لست أنت اليوم الفتى العبراني المشرى بثمن بخس دراهم معدودة، لعبة العزيز وامرأته، وإنما أنت ﴿ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ ذو مكانة عالية مرموقة، ولا أنت المهدّد بالسجن أو عذاب أليم، وإنما أنت «لدينا اليوم أمين»، وتراه في ملتقاه مع الملك أخذ يتملق له بقولة أو فعلة كما يفعله رجال الحاشية؟ كلا ولا في شطر كلمة، فالنص ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ فالملك هو البادئ بالكلام دونه، اللهم إلا بسلام والسلام، وفي ذلك الكلام الملكي الهام: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ نرى كل مراتب

(١) سورة يوسف، الآية: ٢١.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٧.

العزة والإكرام، دون ألفاظ مرسومة خاوية في المواجهات العادية، وإنما كلام مكين أمين، حيث الملك ليس ليهاب أحداً أو يماريه حتى يجاريه في كلمة خاوية المرام.

هنا مثلث التأكيد للمكانة والأمانة، المستفاد من حرف التأكيد وتقدم الظرفين، يؤكد له المكانة والأمانة الخاصة المتميزة، والسلطة الصالحة لإدارة أمور المملكة بحاجة جذرية ماسة إلى تلك المكانة والأمانة، ولا سيما في تلك الظروف الحرجة الهرجة، وفي الحق يلمح من كلامه هذا حكم صدارته العليا بعده،

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾:

﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لشتات الأمور ومتفرقاتها لأجمع شملها، ولمجموعاتها عن تمزقها وشتاتها، حفيظ للمعادلة الاقتصادية في السبعين الرخوة والشداد، حفيظ في كلما تحتاجه خزائن الأرض من صالح الإنماء والمصرف، فالحفيظ على الحرمات والنواميس في تلك الظروف المحرجة، هو بأحرى حفيظ على المصالح الاقتصادية! ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ فمن حفيظ غير عليم، يحاول في الحفظ ولكنه لا يعلم، فقد يكون ما يفسده على جهله أكثر مما يصلحه كصدقة، ومن عليم غير حفيظ، يعلم ويخالف علمه إلى جهالة، أم لا يحافظ على المصلحة الجماعية، إذ لا يلاحظ إلّا شخصه وشخصيته وصالحه، ولكني ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ كركنين أساسيين لمن يجعل على خزائن الأرض.

وتراه لماذا يتطلب إلى الملك ذلك المنصب دون أن يصبر حتى ينصبه هو كما يراه؟ علّه ما كان ليعلم أية مصلحة في الملك هي أصلح ليجعله عليها؟ فهو - بعدما يتأكد أنه لديه مكين أمين، وبطبيعة الحال يحتاجه لأمر ما لمصلحة البلد - فهو يدله على ما هو الأصلح في تلك الظروف الصعبة

الملتوية، كمواصلة صالحة لما يريده منه الملك، حيث الأزمة القادمة وسنو الرخاء التي تسبقها، هي بأمسّ الحاجة إلى الحفظ والصيانة على علم واسع ودراية، لذلك يختار ذلك المنصب المناسب الضروري لحفظ البلد عن التفكك، الذي لا بديل عنه، كما هو عليه السلام لذلك المنصب، فلا يطلب إلى الملك وزارة البلاط الملكي، ولا أية وزارة إلّا وزارة الإقتصاد والتنمية والإصلاح الزراعية، التي كانت تحلّق حينذاك على كافة الوزارات، وفي الحق هي رئاسة الوزارات كلها حسب الظروف الراهنة! فبالرغم من أنّ تصدي أمر الإقتصاد في ذلك الظرف الحرج تورّط في مختلف الصعوبات، يختاره الصديق لنفسه، وهناك أمور أريح، ولصالحه الشخصي أصلح، لأنه حسب واجبه الرسالي كان حصينا في اختيار اللحظة المرهقة ذات التبعة الضخمة، فيكون مسؤولاً عن إطعام شعب بكامله والشعوب المجاورة، ليؤدي واجبه الرسالي عدلاً ناصعاً ناصحاً للجماهير، وعلّه على ضوئه يجلب أنظار المحاويج إلى شرعة الله.

فليس من السهل تكلّف ذلك العبء الثقيل، ولأقل تقدير في أربعة عشر سنة التي قد تكلّف في مصطرع المراجعات والمنازعات رأس الرئيس وحياته ومصرعه، المنصب الذي يحيد عن تقبله سائر الحاشية الملكية، حيث ترجّح الأريحية وحياة الترف والرعونة.

أفبعد ذلك كله يخلج ببال، أن كيف يزكي الصدّيق نفسه والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ يزكي قائلاً: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾؟ أم كيف يطلب إلى فرعون المشرك الظالم أن يجعله على خزائن الأرض؟ ومعونة الظالمين حتى في عدلهم هي من المحرمات القطعية؟!.

إن أمر الصديق هنا أبعد أعماقاً وأوسع آفاقاً من هذه الضوابط الناظرة إلى الناس العاديين، فإنه يرتكن على ركن الرسالة والدعوة إلى الله، ولا بد

للرسول ان يزكي نفسه بما زكّاه الله تعالى لتحل رسالته محلها من القلوب، وإنما التزكية المحرمة هي للنفوس غير المزكّاة، أو التي تأخذها بتزكيتها رعونات وطنطنات، دون النفوس المطمئنة بالله التي زكاها الله بما رحمها ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ أو ليست النفس المرحومة بالله مزكاة!.

ولان زكاة النفس من نعمة الرب فلا بد لصاحبها أن يحدث بها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(١) لا سيما في مقامات الضرورة لإظهار الحق والدعوة إليه وتطبيقه، دون التظاهر بالحق وأنت مبطل أو معجب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾(٢) ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾(٣). وقد زكى الله نفس الصديق وهو أعلم به وهو يريد مكانته وتمكّنه في الأرض: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾(٤) (٥).

ومن ثم ليس طلبه إلى الملك أن يجعله على خزائن الأرض إلّا ليعدل حسب الشرعة الإلهية فيمن لا يقرون بحق الله وشرعته، وإزالة الظلم ثم تقليله من المفروض على عواتق الدعاة إلى الله! وليجد ظرفاً صالحاً للدعوة الرسالية وذلك من أهم الظروف الواسعة والمجالات الفاسحة.

ثم الضرورات تبيح المحظورات، فحتى لو كانت قيادة خزائن الأرض والرئاسة عليها في الملكية الفرعونية محظورة للصديق، لكانت أقل المحظورين حيث الضرورة الرسالية تفرضها.

---

(١) سورة الضحى، الآية: ١١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٩.
(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢١.
(٥) نور الثقلين في تفسير العياشي وقال سليمان قال سفيان قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما يجوز أن يزكي الرجل نفسه؟ قال: نعم إذا اضطر إليه أما سمعت قول يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٥٥] وقول العبد الصالح: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعرَاف: ٦٨].

وقد قبل الإمام الرضا عليه السلام ولاية عهد المأمون لنفس الضرورة وأحرى، فلما يسأل: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟ يقول عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك فلما خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول، ويحهم أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبياً ورسولاً فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن الأرض قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الأمر إلّا دخول خارج منه فإلى الله المشتكى وهو المستعان»[1] وأين ضرورة من ضرورة، والحكمة فيهما والحكم واحدة على اختلاف الدرجة.

والإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام يقول لأقوام يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف: أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السلام ثم يوسف النبي عليه السلام حيث قال لملك مصر ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، وكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة

(١) نور الثقلين ٣: ٤٣٢ ج ٩٩ في عيون الأخبار بإسناده عن الريان بن الصلت الهروي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له يا بن رسول الله أن الناس يقولون... وفيه حجاج أخرى له مما شاة ومجاراة عن عيون الأخبار بإسناده عن الحسن بن موسى قال: روى أصحابنا عن الرضا عليه السلام أنه قال له رجل: أصلحك الله كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون - وكأنه أنكر ذلك عليه - فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام يا هذا أيهما أفضل النبي أو الوصي؟ فقال: لا بل النبي، قال: فأيهما أفضل مسلم أو مشرك؟ قال لا بل مسلم، قال: فإن العزيز عزيز مصر كان مشركاً وكان يوسف عليه السلام نبياً وأن المأمون مسلم، وأنا وصي، ويوسف سأل العزيز أن يوليه حين قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥] وأنا أجبرت على ذلك، وقال عليه السلام في قوله: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ قال: حافظ لما في يدي عليم بكل لسان.

أصابتهم وكان يقول الحق ويعمل له فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه![١].

وفي الحق إنما الحكم لله ومن يمثّل حكم الله من رسله وأوليائه، والحاكمون على الشعوب دونهم كلهم طغاة، ومن المفروض على من له أهلية الحكم تكريس الطاقات في كافة الحلقات لإزالة هذه السلطات وتأسيس الحكم الحق قدر المستطاع، أم - ولأقل تقدير - التقليل من ظلمهم في سلطاتهم، فإزالة السلطة الظالمة المغتصبة وتقليلها هما مفروضان دوماً على عواتق المؤمنين بالله وبرسالاته.

فمن يندّد بمثل يوسف الصديق والإمام الرضا عليهما السلام كفقيه ينقد أئمة الفقه ورسله، إنه في الحق ليس له فقه بطبيعة الفقه ورسالته الجماهيرية، وفقه الإسلام الناصع هو فقه الحركات والبركات، محلقاً على كل فقه وفقيه، ومطبّقاً شرعة الله في سياسته الجماهيرية والسلطة الشرعية والزمنية، دون فكاك له عن السياسة، وهؤلاء الذين يفصلون الدين عن السياسة في الحق لم يعرفوا الدين ولا السياسة، وبهذه الجهالة فسحوا كافة المجالات القيادية الزمنية لرجالات السياسة غير الديّنين، ورجال الدين هم في الوقت نفسه وعاظ السلاطين، والفقهاء الذين يحصرون الشرعة الإلهية في مدارس وأوراق وحلقات الدروس وفي المساجد وحفلات الوعظ والتعزية، التي هي تحت هذه السلطات السياسية الجهنمية.

إن الفقه الاسلامي لم ينشأ لينشئ أمة في فراغ، ويعيش ويعيّش في فراغ، لا تتمثل فيه عناصر المواقف الخاصة بأجوائها، والبيآت والملابسات التي ينشأ فيها، منعزلاً عن السياسات والملابسات والأحكام الزمنية، مدروساً في فراغ مثالي لا يمثل في المجتمع حتى نفسه.

(١) المصدر الكافي القمي بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يقول فيه لا قوام. . .